من أسماء الليل وصفاته معانيها ودلالاتها

د.سكينة محمود

أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية

جامعة دمشق

ملخص البحث:

يحاول هذا البحث أن يخوض في بعض من أسماء الليل وصفاته، ويتكلم على معانيها ودلالاتها، من مثل: الطرمساء و الأغبس و الديجور و معرنكس و عكمس و حلكوك و طخطاخ و أغطش و غيهب و بهيم و غُداف، والغاية منه هي ربط كل اسم أو صفة بمعناه الأصلي، ذلك أن الألفاظ مهما تباعدت فيمكن أن ترد – في الغالب– إلى معنى أصلي تصدر عنه، ولا يخفى جهد ابن جني وابن فارس في ذلك على دارس العربيّة، وقد اصطفى البحث من أسماء الليل وصفاته غريب الألفاظ لعلّه يثبت أن وعر اللفظ وعويصه وغريبه يمكن أن يصدر عن معنى أصلي، وقد حاول البحث أن يقف على تلك الصلة الخفية بين اللفظ ومعناه الأصلي، وقد يكون في بعض ذلك تكلف، ولعلّ الذي يسوغ للبحث ذلك حرصه على إبراز بعض من الجوانب الجمالية للعربيّة ودقتها في التعبير حتى في الألفاظ الغريبة.

الكلمات المفتاحية: الليل ، اسم ، صفة

==========

المقدمة:

يبحث هذا الموضوع في بعض من أسماء الليل وصفاته، من حيث معانيها ودلالاتها، وقد تكلم المتقدمون والمتأخرون في ثنايا المصادر على هذه الأسماء والصفات، أفرد بعضهم أبواباً لها، مثل المرزوقي في كتابه الأزمنة والأمكنة.غير أنهم لم يربطوا في الأعمّ الأغلب كلّ اسم أو صفة بمعناه الأصلي، وهذا ما أراده البحث، أضف إليه أنه اصطفى من أسماء الليل وصفاته غريب الألفاظ ليثبت أن وعر اللفظ وعويصه وغريبه يمكن أن يصدر عن معنى أصلي، وقد حاول البحث أن يقف على تلك الصلة الخفية بين اللفظ ومعناه الأصلي ليظهر بعضاً من الجوانب الجمالية للعربيّة ودقتها في التعبير حتى في عويص اللفظ، والألفاظ التي اختارها هي:

<u>أولاً: غيهب:</u>

قال في العين:« الغيهب: شدة سواد الليل والجمل ونحوه. يقال: جمل غيهب: مظلم السواد. قال:

تلاقيتها والبوم يدعو بها الصدى وقد ألبست أفراطها ثني غيهب

وغيهبت عن هذا الشيء غيهباً: إذا غفلت عنه ونسيته، وأصبت هذا الصيد غيهبا، أي: غفلة من غير تعمد».[1]

[1] - ينظر: العين ٣/٣٦٠-٣٦١

وقال ابن فارس:« الغين والهاء والباء أصل صحيح يدل على ظلام وقلة ضياء، ثم يستعار. فالغيهب: الظلمة. يقال للأدهم من الخيل الشديد الدهمة: غيهب. ويستعار هذا فيقال للغفلة عن الشيء: غهب. يقال: غهب عنه، إذا غفل»[٢].

وقال ابن الأثير: «الغهب بالتحريك : أن يصيب غفلة من غير تعمد . يقال : غهب عن الشيء يغهب غهبا إذا غفل عنه ونسيه . والغيهب : الظلام . وليل غيهب : أي مظلم، ومنه حديث قس : (أرقب الكوكب وأرمق الغيهب) ».[٣]

وقال ابن سيده: «غَهِبَ عن الشيء غَهَبا: غفل عنه ونسيه. وأصاب صيدا غَهَبًا، أي غفلة.

والغَيْهَب: الثقيل الوخم، وقيل: هو البليد. وكساء غَيْهَبٌ: كثير الصوف.

وأسود غَيْهَب: شديد السواد. وليل غَيْهَب: مظلم. والغَيْهَبُ: الظلمة، وهو الغَيْهَبانُ. والغَيْهَبانُ: البطن»[٤].

ويلاحظ من الكلام السابق أنّ الغيهب في الأصل يدلّ على الظلام وقلّة في الضياء، ثم استعير للسواد، فالأدهم من الخيل غيهب، وكذا الجمل الأسود، والليل

[٢] - ينظر: المقاييس٤/٣٢١

[٣] - ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣/٧٤٩

[٤] - ينظر: المحكم٤/١١٦

==========

المظلم غيهب، وقولهم: أصبت هذا الصيد غيهبا، أي: غفلة من غير تعمـــد، فالغفلـــة تكون في الظلام، قال الزمخشري في قوله تعـــــالى:(وكم من قريـــة أهلكناهـــا فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون): «وإنما خُـــصّ هذان الوقتان وقت البيات ووقـــت القيلولة لأنهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لـــوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة»[٥].

ولعلّ إهلاك أولئك في ذلك الوقت هو غاية الاحتقار لهم، فهم في غفلة من أمرهم، والله قد نسيهم، فالشيء الحقير ينسى ويغفل عنه، ولا يخطـــر بالبـــال، ولله المثل الأعلى.

والوخم الثقيل: غيهب؛ لتراكم الشيء بعضه فوق بعض، فهو أميـــل إلـــى السواد، أضف إلى ذلك أنه ليس له قوّة البياض وناصعته وصفائه وشفافيته.

والبليد: غيهب، لأنّ البلادة ضد النفاذ والذكاء والمضـــاء فـــي الأمـــور[٦]، ويكون الإنسان نافذا إذا كان فكره يبلغ حيث لا يبلغ فكر البليد ففي النفاذ معنى زائد على الفطنة، ولا يكاد الرجل يسمى نافذا إلا إذا كثرت فطنته للأشياء[٧].

ومما ذكر في البليد ما قيل في قوله تعالى: (سواء عليهم أأنـــذرتهم أم لـــم تنذرهم لا يؤمنـــــون)[٨] هو أصل الإنذار، كما يقال في البليد والمشـــغول الـــذهن

---

[٥] - ينظر: الكشاف ٨٤/٢ ، وانظر: القرطبي ١٤٥/٧، والبحر المحيط ٢١٨/٤.

[٦] - ينظر: اللسان (بلد).

[٧] - ينظر: الفروق اللغوية ٨٦

[٨] - البقرة ٦/٢

بأمور الدنيا والشهوات: سواء عليك أعلمته أم لم تعلمه لا يتعلم ولا يقبل الهـــدى[٩]، فهو كذلك لأنّ الخطايا نبتت على القلب حتى غمرته فهو الرّان[١٠]، وإذا كان القلـــب كذلك فقد أظلم، وعليه فالبليد غيهب لما تقدّم.

أمّا الغَيهَبانْ: البطن فلا يخفى معنى الظلمة فيه، قال تعالى في صفة ســيدنا يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت: (وَذَا النون إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّــن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فنادى في الظلمات أَن لاَّ إِله إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظـــالمين)[١١]، وغني عن القول أن تلك الظلمات هي ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليــل، وظلمــة البحر.

ثانياً: بهيـــــم:

قال ابن سيده: «البُهمة: الفارس الذي لا يُدرى من أين يُؤتى له مــن شــدة بأسه.

ابن السكيت: حائط مبهم، ليس فيه باب. والأبهم: المصمت، أنشد:

---

[٩] - ينظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٨٩.

[١٠] - ينظر: تفسير مجاهد٢/٧٣٨. والرين الصدأ الذي يعلو حديد السيف والمرآة، ولما فيه من معنى التغطية أطلق على التغطية فجاء منه فعل ران بمعنى غشي فقالوا : ران النعاس على فلان ورانت الخمر وكذلك قوله تعالى (ران على قلوبهم)، انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩٩/٣٠.

[١١] - الأنبياء ٢١/ ٨٧.

==========

فهزمتْ ظهرَ السّلام الأبهمِ[12]

وهو المبهم الذي لا صدع فيه ولا خلط. يقال فرس بهيم: إذا لم يخلط لونه لون سواه، وقال: بهم عليّ الأمر: أصمته فلم يجعل فيه فرجاً أعرفه، يقال في البهمة إنه شبّه بالفئة، والبهمة: الجماعة ولا فعل له، لا يوصف به النساء.

ابن جني: بهمة في الأصل مصدر بدليل قولهم: هو فارس بهمة، أي استبهام ثم وصف به»[13].

وقال ابن فارس:« الباء والهاء والميم: أن يبقى الشّيءُ لا يُعْرَفُ المأتى إليه. يقال هذا أمرٌ مُبْهَم. ومنه البُهْمَةُ: الصخرة التي لا خَرْقَ فيها، وبها شُبِّه الرّجُل الشُّجَاعُ الذي لا يُقدَرُ عليه من أيّ ناحيةٍ طُلِب. وقال قوم: البُهْمَةُ جماعةُ الفرسان. ومنه البَهِيمُ: اللّونُ الذي لا يخَالِطُه غيرُه، سواداً كانَ أو غيرَه. وأبْهَمْتُ البابَ: أغلقْتُه.ومما شَذَّ عن هذا الباب: الإبهام من الأصابع. والبَهْم صغارُ الغَنَم. والبُهْمَى نبتٌ، وقد أبْهَمَتِ الأرضُ كثُرَتْ بُهْمَاهَا»[14].

وقال في العين: « البهمة : اسم للذكر والأنثى من أولاد بقر الوحش وضروب الغنم والجميع : البهم والبهام، والبهم أيضا : صغار الغنم.

والبهمى : نبات تجد به الغنم وجدا شديداً ما دام أخضر، فإذا يبس هر شوكه وامتنع، الواحد : بهمى أيضا ويقال للواحدة بهماة أيضاً.

---

[12] ـ للعجاج، ديوانه ٤٥٥/١، وروايته فيه: متن السّلام المبهم.

[13] ـ ينظر: المخصص كتاب الغرائز ـ باب الخبرة ٢٧٤/١

[14] ـ ينظر: المقاييس ٢٨٩/١

والإبهام : الإصبع الكبرى التي تلي المسبحة، والجميع : الأباهيم، ولهـا مفصلان.

وأبهم الأمر أي : اشتبه لا يعرف وجهه، واستبهم علي هذا الأمر.

وباب مبهم : لا يهتدى لفتحه قال الشاعر :

وكم من شُجاعٍ مارَسَ الحربَ دهرَهُ فغاصَ عليهِ المَوْتُ والبابُ مُبْهَمُ

والبهيم : ما كان من الألوان لونا واحدا لا شية فيه من الدهمة والكمتة.

وصوت بهيم أي : لا ترجيع فيه، وليـل بهـيم : لا ضـوء فيـه إلـى الصباح»[١٥]. مما سلف نجد أنّ الأصل في البهم هو العسر في إتيان الشيء، فـالأمر المبهم يصعب حلّه، فهو مصمت يخلو من الفرج، والصخرة التـي لا خـرق فيهـا بهمة، يعسر على المرء كسرها أو التصرف بها، ولمّا كان الشجاع لا يُقدر عليه من أي ناحية طُلب شبّه بالصخرة البهمة، ونعتت به جماعة الفرسان إذ هـي لا يُقـدر عليها من أيّ جهة، فهي تستغلق على طالبها، والحائط الذي ليس فيه بـاب مـبهم مصمت، لا ينفذ الشيء منه، وكل شيء لا صدع ولا خلط فيه مبهم؛ لأنه والحالـة هذه مصمت يصعب إتيانه، والبهيم اللون لا يخالطه سواه، فهو يستعصـي خلطـه بغيره، إذ لا شية فيه من الدهمة والكمتة، ولذا وصف الليل به، ونعت الصوت به.

[١٥] - ينظر: العين ٦٢/٤

==========

وقد ذكر ابن فارس أنّه مما شذّ عن ذلك البَهم لصغار الغنم، وأغلب الظـنّ أن لا شذوذ فيه، فلعلهم سموها البَهم؛ لأنها تـأتي نبـات البُهمـى، وهـذا النبـات يستعصي عليها، قال في العين: «والبُهْمَى : نباتٌ تَجِدُ به الغَنَم وجداً شديداً مـا دام أَخْضَرَ» [١٦]، ومنه يقال للأرض: أبهمت إذا كثرت فيها البهمى، لأنه يستغلق علـى المرء أن يرى لون الأرض.

وذكر ابن فارس أيضاً أنه مما شذّ عن ذلك الإبهام من الأصابع، وأغلـب الظنّ أنه سميّ بذلك لأن به تجمع الكف وتطبق، قال في التهذيب: «وقيـل للإبهـام الإصبع: إبهام؛ لأنها تبهم الكف: أي تطبق عليها» [١٧] فإن اجتمعـت الأصـابع فـي الكف استعصى فتحها على من يحاول ذلك.

ثالثاً: غُـداف:

قال ابن فارس: « الغين والدال والفاء أصلٌ صحيح يدلُّ على سَتْرٍ وتغطية. يقال: أغدفَتِ المرأة قِناعَها: أرسلَتْه. قال:

إن تغْدِفي دوني القِناعَ فإنّني طَبٌّ بأَخْذِ الفارِسِ المستلئِمِ

وأغْدَف اللَّيْلُ: أرْخَى سُدولَه. وأمّا الغُراب الضَّخم فإنّه يُسمّى غُدافاً، وهـذا تشبيه بإغداف اللَّيل: إظْلامِه»[١٨]

---

[١٦] - ينظر: نفسه،

[١٧] - ينظر: التهذيب(بهم)٣٤٤/٢

[١٨] - ينظر: مقاييس٣٣٢/٤

وقال ابن سيده:« الغُداف: الغُراب، وخصّ بعضهم به غُراب القيظ الضّخم الوافر الجناحين.

وشعر غُداف: أسود وافر، وأنشد ابن الأعرابي:

تَصيَّدُ شُبان الرجال بفاحم غُداف وتَصطادين عُتّاً وجُنْجُدا

وجَناح غُداف: أسود طويل. وقيل: كل أسود حالك: غُداف. وأسود غدافيٌّ، نُسِبَ إلى الغُداف.

واغدودف الليل، وأغدف: أقبل وأرخى سُدوله.

وأغدف قناعه: أرسله على وجهه، وفي الحديث: حين قيل له: هـذا علـي وفاطمة قائمين بالسُّدة، فأذن لهما فدخلا، فأغدف عليهمـا خَميصـةً سـوداء، أي: أرسلها.

وأغدف بالطائر، وأغدَف عليه: أرسل عليه الشبكة، وفي الحديث: (إن قلب المؤمن أشد اضطرابا من الخطيئة يصيبها من الطائر حين يغدف به).

والغِدفَةُ: لباسُ الملك.

والغِدفة، والغَدَفَة: لباس الغول والثّجى ونحوهما.

وعيش مُغْدِف: مُلبس واسع.

==========

وأغدف في ختان الصبي: استأصله، عن اللحياني. وعندي: أن أغدف: ترك منه، واسْحت: استأصله.

وأغدف البحر: اعتكرت أمواجه. والغادف: الملاح، يمانية.

والغادف، والمِغدفة، والغادوف، والمِغْدف: المجداف»[١٩].

مما تقدّم يظهر أنّ غدف لها معنى أصلي وهو التغطية والستر، ويشتمّ أيضاً منه معنى الإرسال، وهو بيّن في بعض الألفاظ مثل: أغدفتِ المرأة قِناعَها، وأغْدف اللّيلُ، ومنه: الغداف للغراب الضخم شبّه بإغداف اللّيل، ولأنّ المعنى يلتمّ عن إرسال الشيء، والإرسال يفهم منه الطول قالوا: جَناح غُداف، أي: أسود طويل، وهذه معانٍ واضحة لا يعجز المرء في ردها إلى المعنى الأصلي.

وهناك ألفاظ مستعملة في ذلك تحتاج إلى ربطها بالمعنى الأصلي، منها قولهم للباس الملك: غِدفَةٌ، ولعلّ هذا مأخوذ من قولهم: عَيْشٌ مُغْدِف مُلْبس واسع والقومُ في غِدافٍ من عيشتهم أي في نَعْمة وخصْب وسعَة، فلباس الملك أخذ من غداف العيش، وهو السعة والنعمة والخصب، ولا يخفى معنى الإسباغ والإرسال والإرخاء في ذلك.

وقولهم: أغدف في ختان الصبي: استأصله، فلعله قيل ذلك فيه، لأنّ من يقوم بذلك يرسل الموسى ليستأصل الزائد من الجلد، ذلك أنه يقال: أغدف في ختان

---

[١٩] - ينظر: المحكم٥/٤٦٨- ٤٦٩

الصبي إذا لم يسحت وأسحت إذا استأصل، ويقال إذا ختنت فلا تسحت، ومعنى لم يغدف أي لم يبق شيئا كبيرا من الجلد[٢٠].

وقولهم: أغدف البحر: اعتكرت أمواجه، فإذا كان ذلك مال لونه إلى السواد، ومنه قيل للملاح: غادف، ولعلّه سميّ بذلك لنشاطه وبذله الجهد بعد الجهد إذا اعتكر موج البحر، ومن هنا سميّ المجداف بالغادف، والمِغدفة، والغادوف، والمِغْدف.

رابعاً: الطرمساء:

قال الخليل في العين: «الطَّرْمَسَةُ: الانقباض والنكوص. والطَّرمساء: الظُّلمة الشَّديدة»[٢١].

وقال في الجمهرة: « الطَّرْمساء، ويقال الطِّلْمِساء: تراكم الظلمة والغبار؛ ومنه طرمسَ الليلُ وطرسمَ. وأنشد:

في ليلةٍ طَخْياءَ طرْمِسايه

والطُّرْموس: خبز الملّة».[٢٢]

---

[٢٠] - ينظر: اللسان: (غدف).

[٢١] - ينظر: العين ٣٣٧/٧

[٢٢] - ينظر: الجمهرة(طرمس)١١٥١/٢- ١١٥٢، وانظر: الصحاح(طرمس)٩٤٣/٣

==========

وقال في التاج:« طَرْمَسَ الرجُلُ إذا قَطَّبَ وَجْهَه وكـذا طَلْمَـس وطَلْسَـم وطَرْسَمَ . واطْرَمَّسَ الليلُ : أظْلَمَ . وممّا يُستَدْرَك عليـه : الطِّـرْمِسُ : كزِبْـرِجٍ : الظُّلْمَةُ والطِّرْمَاسُ : الظُّلْمَةُ الشَّدِيدَةُ»[٢٣]

يلاحظ مما سبق أن من معاني الطرمسة الانقباض، ولفظة الانقباض لهـا صلة خفيّة بالليل، ذلك أن الانقباض يعني الخنوس، قال فـي العـين: « الخُنُـوسُ: الانقباض والاستخفاء، والشيطان يوسوس في القلب، فـإذا ذكـر الله خَـنَس ، أي: انقبض.

الخُنَّسُ: الكواكب الخمسةُ التي تَجري وتَخنّس في مجراها حتّى يخفى ضوء الشمس، وخُنُوسُها: اختفاؤها بالنهار»[٢٤].

فالخنوس الاستخفاء، والليل يعين على ذلك، والكواكب الخمسة تختفي فـي النهار، فهي تخنس فيه، فإذا اختفى ضوء الشمس ظهرت في الليل، وهذا كلّه يعـين على أنّ ثمة صلة خفيّة بين هذه المعاني، فالطرمسة انقباض واختفاء وخنـوس، ولا يخفى أنّ هذه المعاني تناسب لفظ الليل.ولعل مما يؤيّـد أنّ التناسـب بـين معنـى الانقباض والليل قولهم:« تقلّص الظلُّ: إذا انقبض»[٢٥]، ومعلوم أن انقبـاض الظـل يوحي بغروب الشمس وقرب الليل.

---

[٢٣] - ينظر: التاج (طرمس).

[٢٤] - نفسه

[٢٥] - جمهرة اللغة٢/٨٩٤

خامساً: الأغبس:

جاء في القاموس: « الغَبَسُ محركةً والغُبْسَةُ بالضم : الظُّلْمَةُ أو بياضٌ فيه كُدْرَةُ رَمادٍ . وذِئْبٌ أَغْبَسُ من غُبْس»[٢٦].

وجاء في التاج: «الغَبَسُ مُحَرَّكَةً لُغَةٌ في الغَبَشِ لِوقْتِ الغَلَسِ قاله اللِّحْيَـانِيّ وأَنْشَدَ لِرُؤْبَةَ :

مِنَ السَّرَابِ والقَتَامِ المَسْمَاسْ مِنْ خِرَقِ الآلِ عَلَيْهِ أَغْبَاسْ

وحكاهُمَا يَعقُوبُ في المُثَلِّثِ وأَنشد :

ونِعْمَ مَلْقَى الرِّجالِ مَنْزِلُهُمْ ونِعْمَ مَأْوى الضَّرِيكِ في الغَبَسِ

وقِيل : غَبَسُ اللَّيْلِ : ظَلامُه مِن أَوّلِه وغَبَشُه : مِن آخِرِه ونَقَل شيخُنَا عن الخَطَّـابِيّ ما يُخالف هذا فإنّه قال عنه : الغَبَسُ والغَلَسُ في آخِرِ اللَّيْلِ ويكون الغَبَشُ فـي أَوّلِ الليلِ فتأَمّلْ .

والغُبْسَةُ بالضَّمّ الظُّلْمَةُ كالغَبَسِ أو هما بَيَاضٌ فيه كُدْرَةٌ وهو لَونُ الرَّمـادِ وقال ابنُ دُرَيْدٍ : الغُبْسَةُ : لَوْنٌ بَيْنَ الظُّلْمَةِ والغُبْرَةِ ورَمَادٌ أَغْبَسُ وذِئْبٌ أَغْبَسُ وهو غَبْسَاءُ قالَ الأَعْشَى :

---

[٢٦] - القاموس المحيط (غبس).

==========

كالذِّئْبَةِ الغَبْسَاء في ظِلِّ السَّرَبْ

.... والغُبْسَة كلَوْنِ الرَّمَادِ..... وغَبَسَ اللَّيْلُ غَبْساً وأَغْبَسَ مثل غَبَشَ وأَغْبَشَ فـــي بعض النُّسَخ : اغْبَشَّ كاحْمَرَّ والصواب الأوّل واغْبَاسَّ كاحْمارَّ وهذه عن الأَصْمَعِيّ : أَظْلَمَ .

وممّا يُستَدْرك عليه : اغْبَسَّ الذِّئْب اغْبِساساً . وقيلَ : الأَغْبَس من الذِّئاب : الخَفِيـــفُ الحَرِيص . والغُبْسَةُ بالضمّ : لَوْنٌ بَيْنَ السَّواد والصُّفْرَة . وحِمَارٌ أَغْبَسُ إِذا كَان أَدْلَمَ . وغَبَسَ وَجْهه : سَوَّده . وغَبِسَ اللَيلُ غَبَساً وغُبْسَةً كفَرِحَ لغةٌ في غَبَشَ غَبَشاً نقلـــه ابنُ القطَّاع»[٢٧].

يلاحظ مما سلف أنّ الغبس اسم للظلام، وأنّ هذا الاسم يطلق على الظلام الذي يخالطه بياض، في أولّ الليل، ولهذا قيل: غَبَسُ اللَّيْلِ : ظَلاَمُه من أوّله،[٢٨] فهو ظلام فيه كدر من رماد، فهو لون الرماد، ولهذا قال ابنُ دُرَيْدٍ :الغُبْسَةُ : لَوْنٌ بَـــيْنَ الطُّلْسَةِ والغُبْرَة، ومن هنا كان وسم الذئب بالغبس، فقيل: ذئب أغبس، ولمّـــا كـــان الأمر على هذا النحو فقد نقل الزبيدي أنّ الغَبَس مُحَرَّكَةً لغَةٌ في الغَبَشِ، ولذا ســـوى في (التاج) بين غبس وغبش، فقال:غَبَسَ اللَّيْلُ غَبَساً وأَغْبَسَ مثل غَبَشَ وأَغْبَشَ.

ولمّا كان الغبس من أسماء الليل قالوا: غَبَسَ وَجْهه إذا سوّده.

وبناء على ما سبق نجد أنّ لفظة (الغبس) هي من أسماء الليل، وهي تطلق على أوّله على الأرجح، لأن الظلام يخالطه بياض، وهذا الضرب من الظلمة هـــو

---

[٢٧] - ينظر: التاج (غبس).

[٢٨] - وقد نقل شيخ الزبيدي عن الخطابي أن الغبش يكون في أول الليل.

أشبه بلون الذئب، ولعل لون الذئب هو الذي جعل العربيّ يسم الليل بالغبس، فأصل التسمية على الأرجح مأخوذ من ذلك.

ويلاحظ أيضاً أن ثمة رابطاً يكاد يكون خفياً بين هذه المسميات للفظة (الغبس)، إذ جميعها لا يقرّ السواد القاتم، فالغبس اسم لليل في أوّله أو آخره، والليل في هذا الوقت يكون ظلامه غير دامس، ولون الذئب يخالطه البياض والسواد، فهو لون بين الطلسة والغبرة، والتسوية بين الغبس والغبش، أو جعل الغبس لغة في الغبش لم يأت من فراغ، فالأشياء في أوّل الليل أو في آخره لا ترى بوضوح ولذا أطلقوا على ذلك الجزء من الليل الغبس أو الغبش.

سادساً: الديجور:

قال في التاج: «الديجور: الظلام. وفي بعض الأمهات اللغوية : الظلمة . ووصفوا به فقالوا : ليل ديجور وليلة ديجور وديجوج : مظلمة . وديمة ديجور : مظلمة بما تحمله من الماء أنشد أبو حنيفة :

كأنّ هفْتَ[٢٩] القطقطِ المنثورِ

---

[٢٩] - في مطبوعة (التاج): هتف، والصواب ما أثبت؛ لأن الهفت تساقط الشيء قطعة بعد قطعة كما يهفتُ الثلجُ والرّذاذ، أو: مطرٌ يُسترخَ انهلاله، وقد هفتَ الثلجُ والرّذاذُ ونحوُهما. انظر: اللسان والتاج (هفت).

والقطقط: أصغر المطر، وقراءُ: ظهرُه، يعني الثور، والثُّدور: جمع ثُدْر وهو الصغير من اللؤلؤ. يريد: كأن تساقط المطر أو الرذاذ قطعة بعد أخرى من تلك السحابة المظلمة المحملة بالمطر على ظهر ذلك الثور أشبه باللؤلؤ.

==========

بعدَ رذاذِ الدّيمةِ الدّيجــورِ

على قَراهُ فِلَـــــــــقُ الشّذورِ

ومن سجعات الأساس : وخضت إليك ديجــورا، كــأني خضــت بحــرا مسجورا .

وأقبل الليل بدياجيه وداجيره . وأسود ديجوري . وفي كلام علي رضـــي الله عنه : (تغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار).

ويقال : الدبجور : التراب الأغبر الضارب إلى السواد كلون الرماد.

والديجور : المظلم الكثير من يبيس النبات لسواده قاله شمر .

وقال ابن شميل : الديجور : الكثير من الكلأ . وقال ابن الأثير : الديجور : الكثير المتراكم من اليبيس . وحبل مندجر : رخو عن أبي حنيفة وكذا وتر مندجر عنه أيضا . والدجران بالكسر : الخشب المنصوب في الأرض للتعــريش الواحــدة دجرانة كدقرانة بالضم».

يلاحظ مما سبق أنّ (الديجور) اسم للظلام، وقد وصفوا به الليــل والليلــة، ونعتوا به الديمة المحملة بالماء، فهي مظلمة بما تحمله من المــاء، وهــو التــراب الأغبر الضارب إلى السواد، وهو المظلم الكثير من يبيس النبات، أطلق عليه ذلــك لسواده، وسميّ الكلأ لكثرته بذلك، والكثرة يكنى بها عن الســواد، ومنــه الســواد للناس[٣٠]، والحبل المندجر هو الرّخو، والدّجران هو الخشب المنصوب للتعريش.

---

[٣٠] - قال الشاعر:

إنّ التأمل فيما سلف يكشف عن خيط خفي يجمعها، فأنى قلبْت الكلام ألفيته يوصلك إلى معنى الظلمة والسواد، فالديمة الديجور سوداء لما فيها من ماء، والتراب ديجور إذا كان يميل لونه إلى السواد، والنبات الكثير اليابس ديجور لما يلحظ من سواده لكثرته، واجتماعه وتراكمه بعضه على بعض، وقد وسموا الحبل حالة استرخائه بالمندجر، لأنهم ألفوا في الظلام استرخاء، إذ يميل المرء إلى الراحة والسكينة في الليل، ونعتوا الخشب المنصوب للتعريش بالدجران؛ لأن العريشة تحجب ضوء الشمس، وكذا يحجب ضوؤها في الليل.

سابعاً : معرنكس:

قال في التاج: «عركس الشيء : جمع بعضه على بعض. واعرنكس: أي ارتكم وتراكب واجتمع بعضه على بعض، نقله الخليل قال العجاج:

واعرنكست أهواله واعرنكسا

واعرنكس الشعر : اشتد سواده. ويقال : شعر عرنكس ومعرنكس : كثير متراكب كثيف أسود، وكذلك معلنكس ومعلنكك . وليلة معرنكسة : مظلمة . وقال ابن فارس : هو منحوت من عكس وعرك وذلك أنه شيء يتراد بعض على بعض ويتراجع ويعارك بعضه بعضا كأنه يلتف به».

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

يمدحهم بأن كلابهم اعتادت الأضياف، فهي لا تنبح على الضيف، وهم لكرمهم لا يسألون عن السواد المقبل.

==========

يلاحظ مما سبق أنه يقال عن الليلة معرنكسة إذا كانت مظلمة، فكأنّ الظلام قد تراكب واجتمع وتراكم، فالمعنى الأصلي يقوم على الاجتماع والتراكب والتراكم، ومن هنا جاء وصف العجاج لتلك الليلة التي تراكب الظلام فيها واجتمع، فجاء وصفه دقيقاً معبّراً، ولما كان المعنى الأصلي يقوم على التراكب وجمع الشيء قيل عن الشعر الكثير المتراكب الكثيف الأسود معرنكس، وقد حمله ابن فارس على أنه منحوت من عكس وعرك وذلك أنه شيء يتراد بعض على بعض ويتراجع ويعارك بعضه بعضا كأنه يلتف به.

ثامناً: عكمس:

قال في العين: « يقال: عكمس الليل عكمسة: إذا أظلم، قال: والليل ليل السماكين العكامس. وكل شيء كثف وتراكم فهو عكامس، قال العجاج:

عُكامسٌ كالسندسِ المنشورِ »[٣١]

وقال الزبيدي: «عكمس الليل : أظلم كتعكمس . والعكموس بالضم : الحمار حميرية وهو مقلوب الكسعوم والعكسوم ويذكر في محله . وإبل عكمس وعكامس كعلبط وعلابط : كثيرة أو قاربت الألف وكذلك عكبس وعكابس وقد تقدم عن اللحياني وأبي حاتم . وقال غيرهما : العكمس والعكامس : القطيع الضخم من الإبل وكذلك الكعمس والكعامس ويروى بالشين والسين أعلى . وليل عكامس : مظلم متراكب الظلمة شديدها وكل شي تراكب وتراكم وكثر حتى يظلم من كثرته فهو عكامس وعكمس . وليل عكمس مثل عكامس وهذا نقله الصاغاني . وقال ابن

---

[٣١] - ينظر: العين ٢/٣٠٥

فارس : ليل عكامس : منحوت من عكس وعمس لأن في عمس معنى من معـــاني الإخفاء والظلمة تخفي»[٣٢].

يلاحظ مما سلف أنّهم نعتوا الليل المظلم فقالوا: ليـــل عكـــامس، وقـــالوا: عكمس الليل: إذا أظلم، وإن كانت الإبل كثيرة تقارب الألف قـــالوا: إبـــل عكمـــس وعكامس، وأطلقوه أيضاً على القطيع الضخم من الإبل، ذلك أنّ كل شيء تراكـــب وتراكم حتى يظلم فهو عندهم عكامس أو عكمس، وأغلب الظنّ أنّ أصـــل التســـمية مأخوذ من ذلك، فالمعنى الأصلي مبني على التراكم والتراكب.

وقد رأى ابن فارس أنّ قولهم: ليل عكامس منحوت من: عكس وعمـــس، فقد لاحظ معنى الإخفاء والظلمة في (عمس).

تاسعاً: حلكوك:

قال في العين: «الحَلَكُ : شِدَّة السَّواد حالِكٌ حَلْكُوك وحَلِكَ يحلكُ حلوكا .

والحلك : شِدّة السَواد كلَون الغُراب يقال إنّه لأشـــدُّ ســـواداً مـــن حَلَـــك الغُرابِ»[٣٣].

---

[٣٢] - ينظر: التاج (عكمس).

[٣٣] - ينظر: العين ٦٣/٣

وقال ابن فارس:« الحاء واللام والكاف حرفٌ يدلّ على السّواد. يقال: هو أشدُّ سواداً من حلَك الغراب[٣٤]، يقال: هو سواده، ويقال: هو أسودُ حُلْكُوك»[٣٥].

بيّن مما سبق أنّ هذا الأصل يدلّ على السواد، وهو يدلّ على شدة السواد، فهو مثل لون الغراب، ولذا قيل: هو أشد سواداً من حلك الغراب، وهو سواده.

ويبدو من هذا أنّ الحلكوك هو شدّة السواد، وهذا يعني أن للسواد درجات، فما هي؟.

قال الثعالبي: «في ترتيب السواد على الترتيب والقياس والتقريب: أسود وأسحم ثم جون وفاحم ثم حالك وحانك ثم حلكوك وسحكوك ثم خداري ودجوجي ثم غربيب وغدافي»[٣٦].

ويظهر من قول الثعالبي أنّ حلكوك يأتي بعد الفاحم والحالك، وهذا يعني شدّة في السواد، وهذا الترتيب في السواد ليس له صلة بما يتصل بالإنسان؛ فالثعالبي قد عقد فصلاً لذلك، قال في ترتيب سواد الإنسان: «إذا علاه أدنى سواد،

---

[٣٤] - ونقل في المخصص كتاب خلق الإنسان- باب الشعث ٢٠/١أنه لا يقال: هو أسود من حلك الغراب ، وقد نقل السيوطي في المزهر ٣٦٦/١ أنه مما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحياني بأنه قال: قلت لأعرابي: أتقول مثل حلك الغراب أو مثل حلكه؟ فقال: لا أقول مثل حلكه، حكاه القالي. ثم ساق قول أبي حاتم: قلت لأم الهيثم: كيف تقولين أشد سوادا مما؟ قالت: من حلك الغراب. قلت: أفتقولينها من حلك الغراب؟ فقالت: لا أقولها أبدا. ويفهم مما نقله السيوطي أنّ ذلك من باب الخلاف في اللغات. وقال ابن الأنباري في الزاهر ٢٩٢/١ : ويقال في الأسود: أسود فاحم من الفحم وأسود حالك وحانك ومثل حلك الغراب وحلك الغراب فحلكة سوادة وحنكة منقارة.

[٣٥] - ينظر: المقاييس ٧٩/٢

[٣٦] - ينظر: فقه اللغة ١٢٦

فهو أسمر فإن زاد سواده مع صفرة تعلوه، فهو أصحم فإن زاد سواده على السمرة، فهو آدم فإن زاد على ذلك، فهو أسحم فإن اشتد سواده، فهو أدلم»[٣٧].

عاشراً: طخطاخ:

قال ابن سيده: « الطخطخة: استواء الشيء.

وتطخطخ السحاب: إذا كانت فيه جوب ثم انضم واستوى. وسحاب طخطاخ.

وتطخطخ الليل: أظلم وتراكب، يكون بغيم وبغير غيم، وذلك إذا لم يكن فيه قمر، ولا أدري ما طخطخه. وليل طخاطخ، وقد طخطخه السحاب.

والمتطخطخ: الضعيف البصر. وقد طخطخ الليل بصره، إذا حجبته الظلمة عن انفساح النظر»[٣٨].

وقال ابن فارس:« الطاء والخاء ليس له عندي أصل مطرد ولا منقاس. وقد ذكر عن الخليل: طخطخ السحاب: انضم بعضه إلى بعض. والطخطخة: تسوية الشيء»[٣٩].

---

[٣٧] - ينظر: فقه اللغة ١٢٦.

[٣٨] - ينظر: المحكم٤/٥٠٤

[٣٩] - ينظر: المقاييس٣/٣١٨

==========

بيّن مما سلف أنّ أصل الطخطخة استواء الشيء وانضمام بعضه إلى بعض، فإذا انضم السحاب إلى بعضه واستوى فهو: طخطاخ، والشيء إن كان على هذا النحو لم يخل من كثافة فيه، ومن هنا قيل: ليل طخطاخ، إذا تراكبت ظلمته، ولم يكن قمر فيه، فهذا مما يزيد في ظلامه، فلا تُرى الأشياء فيه، ولهذا قيل عن ضعيف البصر: متطخطخ، ولذا قالوا: طخطخ الليل بصره، إذا حجبته الظلمة عن انفساح النظر.

ويلاحظ مما سبق أن الأصل في الطخطخة ضمّ الشيء إلى نظيره، ثم الاستواء على سمت واحد، فإذا اجتمع الظلام وانضم وتراكب أو تراكم واستوى على نحو واحد نعت الليل عندئذ بالطخاخ أو المطخطخ[٤٠]، فإن كان كذلك حجب النظر.

حادي عشر: أغطش:

قال ابن سيده: « الغَطَش في العين: شبيه العَمَش. والغُطاش: ظُلمة الليل واختلاطه. ليلٌ أغطَش.

وفلاة غَطْشاء، وغَطِيش: لا يُهتدى فيها لطريق.

وفلاة غَطْشى، مقصور، عن كراع: مُظلمة، حكاها مع " ظمأى " و " عرثى " ، ونحوهما، مما قد عرف أنه مقصور.

---

[٤٠] - ينظر: الأزمنة والأمكنة ٣٣٠.

وغَطِّش لي شيئا حتى أذكر، أي: افتح لي.[٤١] ومياة غُطَيْش: مـن أسـماء السراب. عن ابن الأعرابي قال أبو علي: وهو تصغير الأغطش تصغير الترخيم، وذلك لأن شدة الحر تَسْمَدِرّ[٤٢] فيه الأبصارُ فيكون كالظّلمة...»[٤٣].

وقال القرطبي: « قوله تعالى : (وأغطش ليلها)، أي جعله مظلماً، غطش الليل وأغطشه الله، كقولك : ظلم الليل وأظلمه الله، ويقال أيضا : أغطش الليل بنفسه وأغطشه الله، كما يقال : أظلم الليل وأظلمه الله. والغطش والغبش : الظلمة، ورجل اغطش : أي أعمى أو شبيه به، وقد غطش، والمـرأة غطشـاء، ويقـال : ليلـة غطشاء، وليل أغطش، وفلاة غطشى لا يهتدى لها، قال الأعشى :

ويهماءَ بالليلِ غطشى الفلا ةِ يؤنسني صوتَ فيّادها

وقال الأعشى أيضاً :

عقرتُ لهم موهـــــــناً ناقتي وغامرُهمْ مذلهمّ غطِشْ

يعني بغامرهم ليلهم؛ لأنه غمرهم بسواده»[٤٤]

---

[٤١] - يقال: غطش لي شيئا حتى أذكر: افتح أو هيئ لي وجه العمل. انظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف، والنظر: اللسان (غطش).

[٤٢] - السمادير : ضعف البصر أو شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عن وفي المحكم عند السكر من الشراب . وغشي الدوار والنعاس . انظر: التاج (سمدر). والنظر: العين (سمدر) ٣٤١/٧ والصحاح (سمدر)٦٨١/٢

[٤٣] - ينظر: المحكم ٣٩١/٥

==========

مما سبق يظهر أن الغطش في العين هو كالعمش، فالأعمش تختلط عليه الأشياء، فلا يراها بوضوح، ومن هنا نعت الليل بأنه أغطش، وحمل هذا المعنى على وصف الفلاة، فالفلاة التي لا يهتدي المرء فيها غطشى، فحاله فيها كحاله في الليل الأغطش، والسراب ينعت بالغطيش؛ لأن المياه التي تخدع الناظر بخالها سرابا، وعندئذ يسمّر النظر، من الحرّ، فيضعف، فلا يبصر المرء على نحو بيّن واضح.

الخاتمة:

- ذكر البحث أنّ من أسماء الليل الغيهب، وهو في الأصل يدلّ على الظلام وقلّة في الضياء، ثم استعير للسواد.
- ذكر البحث أنّ البهيم من أسماء الليل، وأنّ الأصل في البهم هو العسر في إتيان الشيء، فالأمر المبهم يصعب حلّه، فهو مصمت يخلو من الفرج.
- ساق البحث أنّ من أسماء الليل غداف، وبيّن أنّ غدف لها معنى أصلي وهو التغطية والستر.
- لاحظ البحث أن الطرمساء من أسماء الليل، وأن من معاني الطرمسة الانقباض، ولفظة الانقباض لها صلة خفيّة بالليل، ذلك أن الانقباض يعني الخنوس، وهو الاستخفاء، والليل يعين على ذلك.

---

[11] - ينظر: القرطبي ٢٢/٥٨.

- بيّن البحث أنّ لفظة (الغبس) هي من أسماء الليل، وهي تطلق على أوّله على الأرجح، لأن الظلام يخالطه بياض

- لاحظ البحث أنه يقال عن الليلة معرنكسة إذا كانت مظلمة، فكأنّ الظلام قد تراكب واجتمع وتراكم، فالمعنى الأصلي يقوم على الاجتماع والتراكب والتراكم.

- بيّن البحث أنّ لفظ حلكوك قد نعت به الليل، وأظهر أنّ هذا الأصل يدلّ على السواد، وهو يدلّ على شدة السواد.

- ذكر البحث أن الغطش قد نعت به الليل، وهو في العين كالعمش، فالأعمش تختلط عليه الأشياء، فلا يراها بوضوح، ومن هنا نعت الليل بأنه أغطش، وحمل هذا المعنى على وصف الفلاة، فالفلاة التي لا يهتدي المرء فيها غطشى، فحاله فيها كحاله في الليل الأغطش، والسراب ينعت بالغطيش؛ لأن المياه التي تخدع الناظر يخالها سراباً، وعندئذ يسمدّر النظر، من الحرّ، فيضعف، فلا يبصر المرء على نحو بيّن واضح.

==========

المصادر والمراجع:

- الأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزوقي، الدوحة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- تاج العروس للزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج وغيره، سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٣٨٥- ١٩٦٥ - ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.
- التفسير الكبير المسمّى تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار النشر / دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
- تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، تحقيق عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية - بيروت، بلا تاريخ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط أولى ١٩٨٧.
- ديوان العجاج، رواية الأصمعي، د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، بلا تاريخ.

- الزاهر فى معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.
- الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، بلا تاريخ.
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة القاهرة، بلا تاريخ.
- فقه اللغة وأسرار العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي،ط ثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بلا تاريخ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

==========

- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، ١٤١٦هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت -الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

Title of the research:
Some of the names of Night and its attributes - their meanings and implications

By: Dr. Sokaina Mahmoud Mawed

Abstract

This research tries to deal with some of the names of the night and its attributes, and it talks about their meanings and implications, such as: Termesa, Alogbas, Aldijor, Marnques, Ekms, Hlecoq, Taktak, Oguetch, Ghaihab, Bahim and Ghodaf. The aim of the research is to link each name or description with its original meaning, so that words no matter what do they mean - in most cases – they can go back to their original sources. No one can deny the efforts of Ibn Jeni and Ibn Fares to the student of Arabic. The research chooses from the names of the night and its attributes unused words to prove that the rough, difficult and unused may come from the original meaning. The research tried to clear the hidden link between the words and the original meaning, exaggeration could be seen in such cases, and perhaps that justifies for the research its care to highlight some of the aesthetic aspects of the Arabic language and its accuracy of expressions, even in unused utterances.

Key words:Name,Night,Attributes